

أضواء البيان

@ 212 @ من أجلها موجودة بتمامها في الفرع من غير معارض في الفرع يمنع حكمها فيه . وكذلك القياس المعروف ب (القياس في معنى الأصل) الذي هو الإلحاق بنفي الفارق المؤثر في الحكم . فمثل ذلك لا تأتي الشريعة بخلافه ، ولا يعارض نصاً ، ولا يتعارض هو في نفسه . وسنضرب لك أمثلة من ذلك . تستدل بها على جهل الظاهرية القادح الفاضح ، وقولهم على اﷺ وعلى رسوله وعلى دينه أبطل الباطل ، الذي لا يشك عاقل في بطلانه ، وعظم ضرره على الدين . بدعوى أنهم واقفون مع النصوص ، وأن كل ما لم يصرح بلفظه في كتاب أو سنة فهو معفو عنه ، ولو صرح بعله الحكم المشتملة على مقصود الشارع من حكمة التشريع ، فأهدروا المصالح المقصودة من التشريع . .

وقالوا على اﷺ ما يقتضي أنه يشترط المضار الظاهرة لخلقه . فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي بكر رضي الله عنه : من أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : (لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان) فالنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح نهى عن الحكم في وقت الغضب ، ولا يشك عاقل أنه خص وقت الغضب بالنهي دون وقت الرضا . لأن الغضب يشوش الفكر فيمنع من استيفاء النظر في الحكم . فيكون ذلك سبباً لضياع حقوق المسلمين . فيلزم على قول الظاهرية كما قدمنا إيضاحه : أن النهي يختص بحالة الغضب ولا يتعداها إلى غيرها من حالات تشويش الفكر المانعة من استيفاء النظر في الحكم . فلو كان القاضي في حزن مفرط يؤثر عليه تأثيراً أشد من تأثير الغضب بأضعاف ، أو كان في جوع أو عطش مفرط يؤثر عليه أعظم من تأثير الغضب . فعلى قول الظاهرية فحكمه بين الناس في تلك الحالات المانعة من استيفاء النظر في الحكم عفو جائز . لأن اﷺ سكت عنه في زعمهم ، فيكون اﷺ قد عفا للقاضي عن التسبب في إضاعة حقوق المسلمين التي نصبه الإمام من أجل صيانتها وحفظها من الضياع ، مع أن تنصيص النبى صلى الله عليه وسلم على النهي عن الحكم في حالة الغضب دليل واضح على المنع من الحكم في حالة تشويش الفكر تشويشاً كتشويش الغضب أو أشد منه كما لا يخفى على عاقل ! فانظر عقول الظاهرية وقولهم على اﷺ ما يقتضي أنه أباح للقضاة الحكم في حقوق المسلمين في الأحوال المانعة من القدرة على استيفاء النظر في الأحكام ، مع نهى النبى صلى الله عليه وسلم الصريح عن ذلك في صورة من صورته وهي الغضب يزعمهم أنهم واقفون مع النصوص . ومن ذلك قوله تعالى : { وَالَّذِينَ يَرْمُونَ } الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَالِجْدُوهُمْ ثُمَّ مَنَعُوا لَهُمْ شَهَادَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ

الْمُفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ
اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {